



# قيمة المال عند الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمته الله في ضوء الآية (٧٧) من سورة القصص

The value of money at Sheikh Abdul Qadir al-Jilani

Under the perspective of the verse of the Qur'an

أ. م. د. ممدوح حسني علي محمد الأوسي

كلية الإمام الأعظم رحمته الله الجامعة - بغداد

Assistant Professor Dr. Mamdouh Hosni Ali Muhammad Al-Alusi

Imam Al-Azam University College - Baghdad

Email: mamdoh.8877@gmail.com

07828249117





### Research Summary:

I would like to summarize here the most important results that the research aims at:

The conclusion of the research is that the money according to Sheikh Abd al-Qadir did not deviate from the correct and balanced Qur'anic curriculum, and Sheikh Abd al-Qadir's Sufism looks at the world with a small eye in order to facilitate its removal from the heart. We find Sheikh Abdel Qader uses money as a means, not an end, when the hereafter is the end.

The share of money is inevitable and must be obtained, and accordingly there is no objection to putting money in the hand and earning it and at disposal as long as the heart is attached to God.

As for the positiveness of money towards charity, the Qur'an called for charity, and accordingly Sheikh Abdul Qadir advised that this is achieved by harnessing it for the benefit of others. On the other hand, the negativity of money towards corruption is among the sheikh's pests, and from that forbidden earnings that the Qur'an forbids, and that corruption can be avoided by purifying the soul of its fortunes.

### ملخص البحث

أود أن أُلخص هنا أهم النتائج التي يهدف إليها البحث وهي :

أولاً: إنَّ المال عند أهل التصوف كما هو عند الشيخ عبد القادر لم يخرج عن المنهج القرآني السليم والصحيح والمتوازن .

ثانياً: إنَّ تصوف الشيخ عبد القادر ينظر إلى الدنيا بعين الصغر والتحقير حتى يسهل إخراجها من القلب .

ثالثاً: يوظف تصوف الشيخ عبد القادر المال كوسيلة وليس غاية .

رابعاً: عندما تكون الآخرة هي الغاية فإنَّ ذلك يجعل الدنيا طيِّعة ومذللة لصاحبها .

خامساً: لا مانع من جعل المال في اليد والتكسب به وتحت التصرف ما دام القلب مرتبطاً بالله .

سادساً: إيجابية المال نحو الإحسان تتحقق بتسخيره نحو نفع الآخرين .

سابعاً: سلبية المال نحو الفساد يمكن تلافيها بتطهير النفس من حظوظها .

وختاماً أرجو من الله التوفيق والسداد وأن يرزقني الإخلاص في القول والعمل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



## مقدمة

الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَسْرَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا  
أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ [القصص: ٧٧]. حيث احتوت الآية على  
أربع حقائق وهي ما تناوله البحث من مباحث .

والشيخ عبد القادر بتصوفه ونظرته الإيمانية جعل  
ذلك كله يرجع إلى جعل المال كوسيلة للوصول  
إلى الغاية وهي الله والدار الآخرة؛ لأنَّ هذا هو صمام  
الأمان لذلك المال من الوقوع في الفساد والظلم،  
وبنفس الوقت هو المحفز لاستخدامه للحسنات  
والصالحات. وبذلك كشف لنا عن حقيقة الزهد  
المنشود وهو أنَّ المال لا مكان له في قلب السالك  
فلا يهيمه إن زاد أو نقص ما دام بيد غايته السالك  
إليها وهو الله .

كما لهذا البحث أهمية في كشف شبهة وهي  
أنَّ التصوف لا ينظر إلى المال نظرة أزمة واحتقار  
وانعزال كما يفهم، وإنما هدفه هو تجريد القلب عن  
كل ما سوى الله ومنه المال؛ للوصول إليه عز وجل في  
الحياة قبل الممات، فإذا ما وصل السالك متجاوزاً  
عوائق السلوك ومنها المال، فلا يُخشى عليه حينئذٍ  
من فتنة المال إذا انتفع به وسخره للخير، وأمن من  
الانحدار في مستنقعات الفساد والبغي .

وقد استعنت للوقوف على أقوال الشيخ عبد  
القادر من كتبه المعروفة وهي: الغنية، والفتح  
الرباني، وجلاء الخاطر، وفتوح الغيب. وعرضت آراء  
الشيخ مؤيداً إياها بما جاء من آراء المفسرين وأقوال  
العارفين. ومزياً لإشكال قد يحصل في فهم دعوة  
الشيخ ونظرته للمال. ومنتهجاً في خطة البحث

الحمد لله رب العالمين، الذي جعل المال وسيلة  
للعارفين، للوصول إلى غاية المحبين، والصلاة  
والسلام على خاتم الأنبياء المرسلين، سيدنا محمد  
صفوة الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن  
سار على نهجه إلى يوم الحشر واليقيين .

وبعد؛ يتناول هذا البحث قيمة المال عند  
العالم الرباني الجامع بين الشريعة والحقيقة  
المجدد والمصلح الشيخ عبد القادر الجيلاني  
الحسني (رحمه الله) .

والبحث يهدف إلى بيان الصورة الحقيقية للمال  
عند الشيخ عبد القادر، وكيف وضعه في مكانه  
الواقعي في حياة الإنسان بعد ارتقاء الروح في حب  
الله والرغبة بما عنده، والتعامل مع المال بين الإنتفاع  
منه ونيل النصيب المقدر من الله تعالى من جهة،  
وبيين الزهد بفراغ القلب منه؛ كونه وسيلة لا غاية  
وتسخيره بما يعين على عبادة الله وطاعته من جهة  
أخرى، والتحذير من تعلق القلب به؛ لأنَّ ذلك مدعاة  
إلى انحراف مساره من طريق الإحسان والصدقة، إلى  
الطريق الذي يدخل فيه الشيطان ليكون المال أداة  
للفساد والمعاصي والظلم والبغي بغير الحق وذلك  
بجعله غاية .

وقد وجدت أنَّ نظرة الشيخ عبد القادر إلى المال  
لم تخرج عن مضامين الآية (٧٧) من سورة القصص  
وهي قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ



مضامين المنهج القرآني وهي :

المبحث الأول: المال وسيلة لا غاية :

المطلب الأول: المال وسيلة لا غاية .

المطلب الثاني: مكانة المال في القلب .

المبحث الثاني: المال نصيب مقدر في الدنيا :

المطلب الأول: حتمية النصيب .

المطلب الثاني: مشروعية التكسب .

المبحث الثالث: إيجابية المال نحو الإحسان :

المطلب الأول: دعوته إلى الإحسان .

المطلب الثاني: التخلص من حظوظ النفس .

المبحث الرابع: سلبية المال نحو الفساد :

المطلب الأول: تعلق القلب بالدنيا .

المطلب الثاني: الكسب والتصرف الحرام .

وختاماً أسأل الله تعالى أن يكون ذلك خالصاً

لوجهه الكريم، وأن يعفو عني. وأطلب منه السلامة

في الدنيا والنجاة في الآخرة، وأطمع بمغفرته وعفوه

وإحسانه وجنته إنه هو الغفور الودود، وصلى الله على

سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

## نبذة تعريفية بالشيخ

### عبد القادر الجيلاني رحمته الله

• إسمه ومولده:

هو الشيخ عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن

ينتهي نسبه إلى سيدنا الحسن بن سيدنا علي بن

أبي طالب رضي الله عنهما<sup>(١)</sup>.

• ولادته:

ولد بجيلان، وهي من وراء طبرستان في سنة

إحدى وسبعين وأربعمائة<sup>(٢)</sup>.

• شيوخه:

قدم بغداد شاباً، فتفقه على أبي سعد المخرمي<sup>(٣)</sup>.

بعد أن اشتغل بالقرآن حتى أتقنه. ثم تفقه في مذهب

الإمام أحمد بن حنبل، على أبي الوفاء بن عقيل<sup>(٤)</sup>.

والقاضي أبي يعلى<sup>(٥)</sup> وغيرهم. وسمع الحديث

من جماعة، والأدب من آخرين. وصحب حماد

الدباس<sup>(٦)</sup>، وأخذ عنه علم الطريقة<sup>(٧)</sup>.

\* \* \*

(١) ينظر: فوات الوفيات ٢/ ٣٧٣

(٢) ينظر: الأنساب ٣/ ٤٦٣ وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٣٩

والبداية والنهاية ١٢/ ٢٥٢

(٣) ينظر ترجمته: البداية والنهاية ١٢/ ١٨٥

(٤) ينظر ترجمته: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٤٦

(٥) ينظر ترجمته: شذرات الذهب ٥/ ٢٥٢

(٦) ينظر ترجمته: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٩٤

(٧) ينظر ترجمته: شذرات الذهب ٦/ ٣٣١-٣٣٢



• تلاميذه:

حدث عنه: السمعاني<sup>(١)</sup>، والحافظ عبد الغني  
وبن قدامة<sup>(٢)</sup> وغيرهم<sup>(٣)</sup>.

• مكانته العلمية والروحية:

تصدّر الشيخ عبد القادر للتدريس والوعظ  
وسارت بفضلها الركبان، ولقب بموضح الطريقين، وله  
كراماته، وتاب على يده الكثير، وأسلم معظم اليهود  
والنصارى على يديه، وهو إمام الحنابلة وشيخهم  
في عصره، فقيه صالح دين خير، كثير الذكر، دائم  
الفكر، سريع الدمعة<sup>(٤)</sup>.

• وفاته:

مات الشيخ عبد القادر رحمه الله بعد عتمة  
ليلة السبت عاشر ربيع الآخر، سنة إحدى وستين  
 وخمسة مائة، وقد بلغ تسعين سنة، ودفن في رواق  
مدرسته<sup>(٥)</sup>.

\* \* \*

## المبحث الأول

### المال وسيلة للآخرة

• **المطلب الأول: المال وسيلة لا غاية:** ﴿وَابْتَغِ الْآخِرَةَ﴾<sup>(٦)</sup>.

يمكن تحديد قيمة المال عند الشيخ عبد القادر  
في ثلاثة مبادئ:

يوضح لنا الشيخ عبد القادر كيف أنّ المال  
وسيلة لغاية الآخرة وما مدى تأثير ذلك على النفس  
وعلى الواقع الدنيوي حيث يقول: ((قدم الآخرة على  
الدنيا تربحهما جميعاً. وإذا قدمت الدنيا على  
الآخرة خسرتهما جميعاً عقوبة لك. كيف اشتغلت  
بما لم تؤمر به، إذا لم تشتغل بالدنيا أمداً الله عز  
وجل بالمعونة عليها ورزقك التوفيق والأخذ منها،  
وإذا أخذت منها شيئاً وضعت فيه البركة))<sup>(٧)</sup>.  
ويقول: (إجعل آخرتك رأس مالك ونيل  
ربحه، واصرف زمانك أولاً بتحصيل آخرتك)<sup>(٨)</sup>.

وهو بهذا قد كشف لنا المنهج الصحيح والفهم  
السليم لقوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ الْآخِرَةَ﴾<sup>(٩)</sup>. جاء في تفسيرها أي: أطلب فيما  
أعطاك الله من المال الجزيل والغنى والثروة والكنوز

(٦) سورة القصص، الآية ٧٧

(٧) الفتح الرباني ص ٦٣

(٨) فتوح الغيب ص ٨٧

(٩) سورة القصص، الآية ٧٧

(١) ينظر ترجمته: وفيات الأعيان ٢٠٩/٣

(٢) ينظر ترجمته: شذرات الذهب ٥٠/١

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٤٠ / ٢٠

(٤) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة ٣٨٨/١ وشذرات الذهب

٣٣٣-٣٣٢/٦

(٥) ينظر: شذرات الذهب ٣٣٦ / ٦



والنعمة الطائلة الدار الآخرة أي: ثوابها وهي الجنة بأن تفعل فيها أفعال الخير من أصناف الواجب والمندوب إليه، وأن تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفقه في رضا الله وتجعله زادك إلى الآخرة<sup>(١)</sup>.  
ولبيان دلالة ذلك فإنَّ (ابتغاء الدار الآخرة طلبها، أي طلب نعيمها وثوابها. وعلق بفعل الابتغاء قوله فيما آتاك الله بحرف الظرفية، أي اطلب بمعظمه وأكثره. والظرفية مجازية للدلالة على تغلغل ابتغاء الدار الآخرة في ما آتاه الله)<sup>(٢)</sup>.  
وهو هنا ( لم يقل بما آتاك الله لانه لم يرد بمالك وانما أراد وابتغ في حال تملك وفي حال قدرتك بالمال والبدن كما في كشف الاسرار الدَّارِ الْآخِرَةِ اي ثواب الله فيها بصرفه الى ما يكون وسيلة اليه من مواساة الفقراء وصلة الرحم وفك الأسير ونحوها من أبواب الخير)<sup>(٣)</sup>.  
فالآية حددت قيمة المال بأنَّه وسيلة وليس غاية وأنَّ فحوى الآية يشعر كأنَّ (كثرة ما آتاه الله من المال أنسته الآخرة، وشغلته عنها وعن العمل لها، حتى حملة ذلك على الجحود والإنكار)<sup>(٤)</sup>.  
ولا يصير المال وسيلة عند الشيخ عبد القادر إلا بحالين: الأول: النظر إلى الدنيا بعين صغيرة .

والثاني: بفرغ القلب منها .  
أما الحال الأول: فيبين الشيخ حالة التعامل مع الدنيا بقوله: (النظر إلى الدنيا بعين النقص والإعراض عنها تعزراً وتطرفاً وتشرفاً)<sup>(٥)</sup>.

وحال الدنيا هذا يقرره الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: ((لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء))<sup>(٦)</sup>.

وهذا شخيص لحال الدنيا في مثل للقلة والحقارة ؛ لأنه لو كان لها أدنى قدر لم يمتع الكافر منها أدنى تمتع فإن الكافر عدو الله والعدو لا يعطى شيئاً مما له قدر عند المعطي فمن حقارتها عنده لا يعطيها لأوليائه<sup>(٧)</sup>. لهذا حقيقة الزهد ( أن تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالإضافة إلى نفاسة الآخرة)<sup>(٨)</sup>.

أما الحال الثاني: فإنَّ ( الدنيا لم تخلق الدنيا لتبقى لأهلها أو يبقى أهلها فيها، ولكن إنما خلقت لتفنى هي أو يفنى أهلها، وخلقت الآخرة للبقاء، فنصيبه من الدنيا ما قدم وأنفق في طاعة الله وفي سبيله ليس ما خلفه في هذه الدنيا)<sup>(٩)</sup>.

(٥) الرسالة القشيرية ١ / ٨٨

(٦) رواه الترمذي في سننه ، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل ٤ / ١٣٨ رقم (٢٣٢٠) وقال عنه: حديث صحيح غريب من هذا الوجه.

(٧) ينظر: تحفة الأحوذى ٦ / ٥٠٣

(٨) إحياء علوم الدين ٤ / ٢١٩

(٩) تأويلات أهل السنة ٨ / ١٩٧

(١) ينظر: معالم التنزيل ٣ / ٥٤٣ والكشاف ٣ / ٤٣١ ومدارك التنزيل ٢ / ٦٥٧ وتفسير القرآن العظيم ٦ / ٢٢٨ وروح المعاني ١٠ / ٣١٨

(٢) التحرير والتنوير ٢٠ / ١٧٨

(٣) روح البيان ٦ / ٤٣٠

(٤) الغنية ٨ / ١٩٧





من قلب المؤمن ، فإنه سيأمن من الوقوع في الخطايا التي يدفع نحوها شهوات الدنيا وزينتها ، وبعد ذلك ستكون الدنيا ذليلة لرغبة ذلك القلب في تسخير الدنيا لما يرضي الله ما دامت آخرته هي مبتغاه .

#### • المطلب الثاني: مكانة المال في القلب :

لقد أعطى الشيخ حقيقة المال في القلب بقوله: (تناول الأقسام بيد الزهد لا بيد الرغبة ، ليس من يأكل ويبكي كمن يأكل ويضحك ، كل الأقسام وقلبك مع الله عز وجل ، فإنك تسلم من شرها) <sup>(٥)</sup>.

وهو هنا ليس يوهم بأن الزهد هو القناعة بالدون من المطعم والملبس فحسب فهم يقنعون بذلك وقلوبهم راغبة في الرياسة وطلب الجاه ، فتراهم يترصدون لزيارة الأمراء إياهم ويكرمون الأغنياء دون الفقراء ويتخاشعون عند لقاء الناس كأنهم قد خرجوا من مشاهدة . وربما رد أحدهم المال لثلاثا يقال قد بدا له من الزهد وهم من ترغد الناس إليهم وتقبيل أيديهم في أوسع باب من ولايات الدنيا لأن غاية الدنيا الرياسة <sup>(٦)</sup>.

ويبين الشيخ ثمرة الزهد في النفس بقوله: (الصادق في زهده تجيء إليه أقسامه ويتناولها فليس ظاهره بها وقلبه مملوء من الزهد فيها وفي غيرها) <sup>(٧)</sup>.

ومن هنا كان حال الزهاد بأنهم (أرواح النَّاس أبدانا أهل الزَّهد في الدُّنيا ، وأتعب النَّاس قلوبا وأكثرهم

ولهذا قيل: أسقط حب الدنيا من قلبك فإنه رأس كل خطيئة <sup>(١)</sup>. فإذا زال عن وجه القلب غبار حب الدنيا استنار بأنوار عالم القدس وصار كالكوكب الدرّي والتحق بأرواح الملائكة، وهذا هو الفضل لا غير <sup>(٢)</sup>.

وقد علل الشيخ عبد القادر سبب تعلق القلب بالمال بأنّ (الله عبداً يخفى عليهم الطمع فيمن يملك لهم ما فيه يطمعون حتى تكون الأشياء داخله عليهم من حيث لا يطمعون، ويرون أن حالة الطمع نقص في الأحوال، وهو أدنى درجة من درجات العارفين من أهل التوكل، ولا يخطر على قلب مرید شيء من الطمع ويساكنه، إلا لأجل كمال البعد من الله عز وجل، حيث طمع في مخلوق مثله، وهو يرى أن مولاه مطلع عليه، ثم لم يحجزه الخوف من ذلك) <sup>(٣)</sup>.

لا تأكلوا من طعام الدنيا قبل أكل الترياق ؛ فإنّ طعامها مسموم . ما هذا الترياق ؟! هو الزهد فيها ، والخروج عنها من حيث قلبك من بحر الحكمة إلى بحر القدرة ، من الطب إلى الطبيب الذي يميز بين لحمها وسمها <sup>(٤)</sup>.

نستنتج من هذا أن النظر إلى الدنيا بعين القلة يسهل على القلب أخراجها منه ، وهذا لا يتحقق في حالة الغفلة عن الله عز وجل ، فإذا ما خرجت الدنيا

(١) ينظر: عمدة القاري ١٩ / ٢٦٧

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ٧ / ٥٧

(٣) ينظر: الغنية ٢ / ٣٣٤

(٤) ينظر: جلاء خاطر ص ٢٠٩

(٥) الفتح الرباني ص ١١٤

(٦) تلبیس إبليس ص: ١٣٧

(٧) الفتح الرباني ص ١٩





ويشير لنا الشيخ عبد القادر كيفية الصراع مع رغبات النفس وقناعتها فيقول: (واعلم أن تعب كل واحد من الخلق على قدر منازعته المقدور للقدر، وموافقته لهواه وترك رضاه بالقضاء، فكل من رضي بالقضاء استراح، وكل من لم يرض به طالت شقاوته وتبعه ولا ينال من الدنيا إلى ما قسم له، فما دام هواه متبعًا قاضيًا عليه فهو غير راض بالقضاء، لأن الهوى منازع للحق عز وجل، فتعبه متكاثف متزايد<sup>(٧)</sup>).

فمن هنا بين الشيخ أن من أدب الفقير إخراج الغني من قلبه، ويكون قلبه فارغًا من الغني وماله، بل من الدنيا والآخرة أجمع، ولا يجعل لشيء من الأشياء في قلبه موطئًا ومحلاً ومدخلًا، بل يتصفى من ذلك كله ويخلو منه، ثم يتقرب امتلاءه بربه عز وجل، فلا يكون لغيره وجود ولا له حول ولا قوة، فيأتيه عند ذلك فضل الله عز وجل فحينئذ يحصل الغني به عز وجل من غير تعب ولا هم<sup>(٨)</sup>.

ولهذا لم يقل بما آتاك الله لأنه لم يرد بمالك وانما أراد وابتغى في حال تملك وفي حال قدرتك بالمال والبدن الدار الآخرة أي ثواب الله فيها بصرفه إلى ما يكون وسيلة إليه من مواساة الفقراء وصلة الرحم وفك الأسير ونحوها من أبواب الخير<sup>(٩)</sup>.

وأكد الشيخ عبد القادر أنه لا يتم هذا الأمر وهو تعلق القلب بالآخرة بصيام النهار وقيام الليل والتخشن في المطعم والملبس مع وجود النفس

شغلا أهل الاهتمام بالدنيا، وأعون الأخلاق على الزهد قصر الأمل وأقرب حالات أهل المعرفة ذكر القيام لله عز وجل<sup>(١)</sup>.

وهذا يترتب عليه أن يزهد بما عند الناس حيث يرى الشيخ بأنه ينبغي له أن يقطع طمعه من الآدميين لا يطمع نفسه في شيء مما في أيديهم، فإنه العز الأكبر، والغنى الخالص، والملك العظيم، والفخر الجليل، واليقين الصادق، والتوكل الصحيح، وهو باب من أبواب الثقة بالله عز وجل<sup>(٢)</sup>.

فلا يفرح بموجود من الدنيا ولا يتأسف على مفقود منها<sup>(٣)</sup>؛ لأنَّ الزهد سلو القلب عن الأسباب ونفض الأيدي من الأملاك، وعزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف<sup>(٤)</sup>.

ويقرر الشيخ عبد القادر حتمية تحصيل ذلك بتعلق القلب بالله حيث يقول: (إذا طال قيام قلبك على باب الحق عز وجل زال شرهك وطلبك)<sup>(٥)</sup>.

فإذن علامة الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل والمدح والذم وذلك لغلبة الأنس بالله، ويتفرع عن هذه العلامات علامات أخرى لا محالة مثل أن يترك الدنيا ولا يبالي من أخذها<sup>(٦)</sup>.

(١) رسالة المسترشدين ص ١٦١

(٢) ينظر: الغنية لطالبي طريق الحق ٣١٥ / ٢

(٣) الرسالة القشيرية ٢٤٠ / ١

(٤) الرسالة القشيرية ٢٤١ / ١

(٥) جلاء الخاطر ص ٢١١

(٦) إحياء علوم الدين ٢٤٢ / ٤

(٧) ينظر: الغنية ٣٢٩ / ٢

(٨) ينظر: الغنية ٢٨٨ / ٢

(٩) روح البيان ٤٣٠ / ٦



والهوى والطبع والجهل وردية الخلق ، لا يجيء بهذ  
الشيء ، أخلص وتخلص<sup>(١)</sup>.

فالقضية قلبية لا علاقة لها بالمظاهر ، ويكفيك  
ما أحل الله لك من الدنيا؛ فإن فيه غناء وكفاية<sup>(٢)</sup>.

## المبحث الثاني

### المال نصيب مقدر في الدنيا

• المطلب الأول: قدر النصيب: ﴿وَلَا تَسْكُرْ

نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

إنَّ منهج الإسلام يتسم بالتوازن بين متطلبات  
الروح والمادة ولكن على أساس المادة وسيلة  
والروح غاية حيث يقول تعالى: ﴿وَلَا تَسْكُرْ نَصِيبَكَ  
مِنَ الدُّنْيَا﴾<sup>(٤)</sup>.

وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أن يعمل في الدنيا  
للاخرة . والثاني: أن يُقدِّم الفضل ويُمسك ما يُغنيه.  
والثالث: أن يستغني بالحلال عن الحرام<sup>(٥)</sup>.

ومنهجية الشيخ عبد القادر في هذا هو أنه ما دام  
النصيب مقدراً يقول الشيخ عبد القادر: (( فالنعماء  
إليك إن كانت قسمك استجلبتها أو كرهتها ))<sup>(٦)</sup>.

ووجه ذلك أنَّ النصيب: الحظ والقسط، من  
النصب لأن ما يعطى لأحد ينصب له ويميز، وإضافة  
النصيب إلى ضميره دالة على أنه حقه وأن للمرء  
الانتفاع بماله في ما يلائمه في الدنيا خاصة مما  
ليس من القربات ولم يكن حراماً<sup>(٧)</sup>.

(٣) سورة القصص ، الآية ٧٧

(٤) سورة القصص ، الآية ٧٧

(٥) ينظر: المحرر الوجيز ٤ / ٢٩٩ زاد المسير ٣ / ٣٩٣

(٦) فتوح الغيب ص ٣٠

(٧) التحرير والتنوير ٢٠ / ١٤٩

(١) جلاء الخاطر ص ٤٥

(٢) تأويلات أهل السنة ٨ / ١٩٨



وهذا يستند إلى وجه تفسير قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
أي: وفي السماء تقدير رزقكم، وما فيه لكم مكتوب في أم الكتاب<sup>(٢)</sup>.  
وهو عين فحوى الحديث: ((إِنَّ الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله))<sup>(٣)</sup>.  
ويقول الشيخ: ((قسمك يأتيك إن زهدت أو رغبت، فإذا زهدت وصل إليك قسمك وأنت عزيز وإذا رغبت وصل إليك وأنت غير عزيز))<sup>(٤)</sup>.  
وأما ما جاء من دعوته بقوله: (لا تهتم برزق فإن طلبه لك أشد من طلبك له، إذا حصل لك رزق معلوم فدع عنك الإهتمام برزق غد، كما تركت أمس مضى وغد لا تدري هل يصل إليك أم لا، إشتغل بيومك)<sup>(٥)</sup>. مما يثير إشكالاً حول الأخذ بالسبب والسعي لطلب الرزق.

فالذي يزيل الإشكال الحديث: ((من كانت الدنيا همه، فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأتيه من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته، جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا

• **المطلب الثاني: مشروعية الكسب.**  
لقد وضع الشيخ الطريق إلى نيل ذلك النصيب بقوله: (ما أعرف الأكل إلا من شيئين: إما بالكسب مع ملازمة الشرع أو بالتوكل... الكسب بداية والتوكل نهاية)<sup>(٦)</sup>.  
أما التوكل فإن ثبت في نفسك باعتقاد جازم أنه لا فاعل إلا الله واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العناية والعطف والرحمة

(٦) سنن الترمذي ٢٢٤/٤ (٢٤٦٥) وسنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا ٢٢٧/٥ رقم الحديث (٤١٠٥)  
(٧) مدارج السالكين ٢١/٢  
(٨) ينظر: إحياء علوم الدين ١/ ٣٣  
(٩) جلاء خاطر ص ٦٤

(١) سورة الذاريات، الآية ٢٢  
(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٤١/١٧ وفتح القدير للشوكاني ١٠٢/٥  
(٣) رواه البزار، والطبراني في الكبير إلا أنه قال: «(أكثر مما يطلبه أجله)». ورجاله ثقات. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٧٢/٤ رقم (٦٢٩٥)  
(٤) الفتح الرباني ص ٢١٤  
(٥) الفتح الرباني ص ٧٨



تسعة منها في طلب المعيشة وواحدة في العبادة)).  
وروى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لا يفتح الغنية الرجل  
على نفسه أباً من المسألة إلا فتح الله عليه أباً من  
الفقر، ومن يستعف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله،  
ولئن يأخذ أحدكم حبلاً ثم يعمد إلى هذا الوادي  
فيحتطب منه، ثم يأتي سوقكم فيبيعه بمد تمر خير  
له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه))<sup>(٧)</sup>.  
ووصف أهل الكسب بأنهم أمناء الله تعالى، بهم  
مصالح الخلق وعمارة الأرض<sup>(٨)</sup>.

كما ويقرر الشيخ عبد القادر أن (الدنيا في اليد  
يجوز في الجيب يجوز إدخارها السبب بنية صالحة  
يجوز، أما في القلب فلا يجوز)<sup>(٩)</sup>.  
بل نجده يقول: (تشاغل بالإكتساب مع ملازمة  
الطاعة إلى أن يأتيكم القرب منه فتجتمع همومكم  
به ومعه لا غيره ولا مع غيره فحينئذ يصير أكلكم من  
طبق فضله وكرمه من حيث لا تدرون ولا تعقلون)<sup>(١٠)</sup>.  
وهذا يتطابق تماماً مع قوله: ﴿وَلَا تَسْكُ نَصِيبَكَ  
مِنَ الدُّنْيَا﴾<sup>(١١)</sup>. أي لا تضع حظك من دنياك  
وتمتع بها مع عملك للأخرة... ولا تضع عمرك بترك  
الأعمال الصالحات، فإن حظ الإنسان من الدنيا

بجملة العباد والآحاد وأنه ليس وراء منتهى قدرته  
قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته  
بك ورحمته لك عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك  
عليه وحده ولم يلتفت إلى غيره بوجه ولا إلى نفسه  
وحوله وقوته فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله<sup>(١)</sup>.

أما دعوته إلى ترك المال بقوله: إزهد في الدنيا  
وأعرض فتستريح بالعاجل وإن كان لك قسم من  
الدنيا فلا بد من وصوله إليك فتأتيك أقسامك وأنت  
عزيز مكرم<sup>(٢)</sup>. فهذا تقرير بأن حقيقة نصيب الإنسان  
من الدنيا الذي يعمل به لآخرته<sup>(٣)</sup>.

بمعنى أن نصيبك من الدنيا وهو أن تحصل  
بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك<sup>(٤)</sup>. مما أباح الله  
فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن  
والمناكح، فإن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك  
حقاً، ولأهلك<sup>(٥)</sup>.

ففي نهيمهم إياه عن نسيان ذلك حض عظيم له  
على التزود من ماله للآخرة فإن من يكون نصيبه من  
دنياه وجميع ما يملكه الكفن لا ينبغي له ترك التزود  
من ماله وتقديم ما ينفعه في آخرته<sup>(٦)</sup>.

وإلا فقد عقد الشيخ في كتابه الغنية باب  
الكسب: وذكر فيه قول أحدهم: ((العبادة عشرة:

(٧) رواه البزار، ورجاله ثقات مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٣/

٩٤ رقم (٤٥١١).

(٨) الغنية ١/ ٧٦

(٩) الفتح الراني ص ٢١٦

(١٠) المصدر نفسه ص ١٩٩

(١١) سورة القصص، الآية ٧٧

(١) ينظر: إحياء علوم الدين ٢٦٠/٤

(٢) الفتح الرباني ص ١٩٦

(٣) ينظر: فتوح الغيب ص ١٢٦

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤/ ١٨٥

(٥) البحر المديد ٤/ ١٧٥

(٦) روح المعاني ١٠/ ٣١٨



إنما هو بما يعمل فيها من الخير، فالكلام على هذا وعظ، وعلى الأول إباحة للتمتع بالدنيا لئلا ينفر عن قبول الموعظة<sup>(١)</sup>. ولهذا يوضح حال السالك في بداية طريقه بأنه: يترك حرام الدنيا وشبهاتها ومنن الخلق، فيأخذ مباح الحق عز وجل وحلال الشرع في مأكله ومشربه وملبسه ومنكحه ومسكنه وجميع ما لا بد منه، لتحفظ البنية ويتقوى على طاعة الرب عز وجل، وليستوفي المقسوم له الذي لا يتجاوزه<sup>(٢)</sup>. وعليه فالشيخ يقرر المنهج الإلهي القويم المنهج الذي يعلق قلب واجد المال بالآخرة، ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة، بل يحضه على هذا ويكلفه إياه تكليفاً كي لا يتزهّد الزهّد الذي يهمل الحياة ويضعفها<sup>(٣)</sup>.

#### ثالثاً: القناعة .

يقول الشيخ مبيناً حد القناعة: (( إرض بالدون والزمه جيداً حتى يبلغ الكتاب أجله فتنقل إلى الأعلى والأنفس ))<sup>(٤)</sup>.

وبناءً على حتمية القناعة بما قسم الله: (( الشره والحرص مذموم، إقنعوا بما قسم الله لكم عز وجل وارضوا به، من صبر وصل، من صبر استغنى قلبه

وزال فقره ))<sup>(٥)</sup>. يبين الشيخ عبد القادر قدر هذا النصيب بما يسد الحاجة بأنّ (المؤمن يعمل لدنياه وآخرته ، يعمل لدنياه بلغته بقدر ما يحتاج إليه ، يقنعه منها كزاد الراكب)<sup>(٦)</sup>. فيكون توجيه الآية: ﴿ وَلَا تَسْكُ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾<sup>(٧)</sup>. أي: ولا تنس نصيبك وهو أن تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك ، ولكن قدم لآخرتك<sup>(٨)</sup>. وعليه فلا بد للإنسان من قوت حلال يقيم صلبه ولا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فأما طوله فبالإضافة إلى جملة العمر فإن من يملك طعام يومه فلا يقنع به وأما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله<sup>(٩)</sup>.

وقسم الشيخ عبد القادر أصحاب القناعة على ثلاثة أضرب، متق، وولي، ويدل عارف، فحلال المتقي ما ليس للخلق عليه تبعة، ولا للشرع عليه مطالبة. وطعام الولي المحقق الذي هو الزاهد الزائل الهوى ما ليس فيه الهوى، بل هو مجرد بأمره. وطعام البدل الذي هو المعارف المفعول فيه زائل الإرادة كرة القدر، وهو ما لم تكن فيه همسة ولا إرادة بل فضل كله من الله عز وجل، يرزقه ويدلله ويرببه بقدرته الشاملة

(٥) جلاء الخاطر ص ٤٤

(٦) الفتح الرباني ص ٦٣

(٧) سورة القصص ، الآية ٧٧

(٨) ينظر: تأويلات أهل السنة ٨ / ١٩٧ والكشاف ٣ / ٤٣١

(٩) إحياء علوم الدين ٤ / ٢٣٠

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٢ / ١١٩ وتفسير القرآن العظيم

٢٢٨ / ٦

(٢) فتوح الغيب ص ١٢٦

(٣) في ظلال القرآن ٥ / ٢٧١١

(٤) فتوح الغيب ص ٥٤



ولا يدري ما الدنيا المذمومة فيلبس عليه إبليس  
بأنك لا تنجو في الآخرة إلا بترك الدنيا فيخرج على  
وجهه إلى الجبال فيبعد عن الجمعة والجماعة  
والعلم ويصير كالوحش ويخيل إليه أن هذا هو الزهد  
الحقيقي<sup>(٥)</sup>.

ويقرر الشيخ عبد القادر: (إذا أعطاك الله مالاً  
فاشتغلت به عن طاعته حجبك عنه دنيا وأخرى،  
وربما سلبك وأياه وغيرك وأفقرك لاشتغالك بالنعمة  
عن المنعم)<sup>(٦)</sup>.

فليس النصيب من الدنيا جمعها ولا منعها، إنما  
النصيب منها ما تكون فيه فائدة بحيث لا يعقب  
ندماً، ولا يوجب في الآخرة عقوبةً ويقال: هو ما يحمل  
على طاعته بالنفس، وعلى معرفته بالقلب، وعلى  
ذكره باللسان، وعلى مشاهدته بالسر<sup>(٧)</sup>.

ولهذا يعيب الشيخ على من طلب الدنيا لذاتها  
فيقول: ويحك ما دمت تخدم الدنيا فهي تضرك  
ولا تنفعك؛ فإذا صارت هي تخدمك تنفعك  
ولا تضرك. أطردها عن قلبك قد رأيت خيرها  
وخدمتها وذلها<sup>(٨)</sup>.

كما يقول: (إجعل ساعة للدنيا وساعة للآخرة  
وساعة لنفسك وساعة لأهلك وبقية الساعات لربك  
عز وجل)<sup>(٩)</sup>.

(٥) تلبس إبليس ص: ١٣٥

(٦) فتوح الغيب ص: ٣٠

(٧) ينظر: لطائف الإشارات ٣/ ٨١

(٨) جلاء خاطر ص: ٢٠٧

(٩) جلاء خاطر ص: ٣٤

ومنته العامة ومشيبته النافذة<sup>(١)</sup>.  
وهذا التقسيم يشبه تماماً الوجوه الثلاثة للزهد  
والتي ذكرها الإمام أحمد بن حنبل: الزهد على ثلاثة  
أوجه ترك الحرام وهو زهد العوام والثاني ترك الفضول  
من الحلال وهو زهد الخواص والثالث ترك ما يشغل  
العبد عن الله تعالى وهو زهد العارفين<sup>(٢)</sup>.

وقد اختلف الناس في الزهد فمنهم من قال الزهد  
في الحرام؛ لأن الحلال مباح من قبل الله تعالى، فإذا  
أنعم الله سبحانه على عبده بمال من حلال وتعبده  
بالشكر عليه فتركه له باختياره لا يقدم على إمساكه  
بحق إذنه، ومنهم من قال: الزهد في الحرام واجب  
وفي الحلال فضيلة، فإن إقلال المال والعبد صابر  
في حاله راض بما قسم الله تعالى له قانع بما يعطيه  
أتم من توسعه وتبسطه في الدنيا<sup>(٣)</sup>.

ويشرح الشيخ المراحل التي يصل ليس الشأن  
في خشونة ثيابك ومأكولك، الشأن في زهد قلبك،  
أول ما يلبسه الصادق في لبسه الصوف على باطنه  
ثم يتعدى إلى ظاهره فيلبس سره ثم قلبه ثم جوارحه  
حتى إذا صار كله متخشناً جاءت يد الرأفة والرحمة  
والمنة غيرت عليه كثيراً فيخلع عنه ثياب السواد  
وينقله ثياب الفرحة<sup>(٤)</sup>.

وتوضيحاً لذلك كله فقد يسمع العامي ذم الدنيا  
في القرآن المجيد والأحاديث فيرى أن النجاة تركها

(١) الغنية لطالبي طريق الحق ١/ ٢٥٤

(٢) الرسالة القشيرية ١/ ٢٤٣

(٣) الرسالة القشيرية ١/ ٢٣٩ - ٢٤٠

(٤) الفتح الرباني ص: ١٩





وهذا أعظم مكسب في (عمارة الوقت الاشتغال في جميع أنائه بما يقرب إلى الله، أو يعين على ذلك من مأكّل أو مشرب، أو منكح، أو منام، أو راحة. فإنه متى أخذها بنية القوة على ما يحبه الله، وتجنب ما يسخطه. كانت من عمارة الوقت)<sup>(١)</sup>.

## المبحث الثالث

### إيجابية المال نحو الإحسان

﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾<sup>(٢)</sup>

#### • المطلب الأول: دعوته إلى الإحسان :

دعا الشيخ إلى الإحسان بقوله: (واسوا الفقراء بشيءٍ من أموالكم، لا تردوا سائلاً وأنتم تقدرّون أن تعطوه شيئاً قليلاً كان أو كثيراً، وافقوا الحق عز وجل في حبه العطاء)<sup>(٣)</sup>.

ويقول الشيخ عبد القادر رحمته الله: (وعليك بصحبة الفقراء بالتواضع وحسن الأدب والسخاء)<sup>(٤)</sup>.  
ولبيان حقيقة دعوته فقله: ﴿وَأَحْسِنَ﴾<sup>(٥)</sup> يحتمل: إلى نفسك في العمل للأخرة بطاعة الله وشكره كما أحسن الله إليك بنعمته. أو: أحسن إلى الخلق كما أحسن الله إليك<sup>(٥)</sup>.

وعلى الإحتمال الأول يعني: وأحسن إلى عباد الله عز وجل كما أحسن الله إليك أي مثل إحسانه تعالى إليك فيما أنعم به عليك، والتشبيه في مطلق الإحسان أو لأجل إحسانه سبحانه إليك على أن

\* \* \*

(٢) سورة القصص، الآية ٧٧

(٣) الفتح الرباني ص ١٨

(٤) فتوح الغيب ص ١٦٧

(٥) ينظر: تأويلات أهل السنة ٨ / ١٩٨ ومعالن التنزيل ٣ / ٥٤٤

والكشاف ٣ / ٤٣١

(١) مدارج السالكين ٢ / ٢٠





• **المطلب الثاني: التخلص من حظوظ النفس:**

ويشرح لنا الشيخ قيمة الزهد في المال وبين علامته من خلال تسخيره للإحسان فيقول: ((ورأس الزهد السخاء لأن من أحب شيئاً أمسكه ولم يفارق المال إلا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد))<sup>(٨)</sup>.

وهذا تشخيص لحالة النفس التي لا يمكن أن تتطهر من شحها إلا إذا هانت عليها الدنيا وما فيها، حتى تنطلق من أسر قيود الرغبة في المال وتنفقه في سبل الإحسان والخير وهذا ما بينه القرآن الكريم في قول الله عز وجل: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾<sup>(٩)</sup>.

جاء في سبب نزولها: أنّ أبا طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾<sup>(١٠)</sup>، قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾<sup>(١١)</sup>.

وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بخ، ذلك مال

الكاف للتعليل<sup>(١)</sup>.

وعلى الثاني أي: (أعط فضل مالك كما زادك على قدر حاجتك. وهو أمر بصلة المساكين)<sup>(٢)</sup>. أو: (وأحسن في طلب الحلال كما أحسن إليك في الإحلال)<sup>(٣)</sup>.

وعلى جميع الأقوال فالإحسان الذي أمر به إنفاق النعمة في وجوه الطاعة والخدمة، ومقابلته بالشكران لا بالكفران. ويقال الإحسان رؤية الفضل دون توهم الاستحقاق<sup>(٤)</sup>.

وقيد الشيخ قيمة التجارة بأن (تطلب بها الكفاية أو الثروة أو الزيادة على الكفاية فإن طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاره لا ليصرف إلى الخيرات والصدقات فهي مذمومة؛ لأنه إقبال على الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة)<sup>(٥)</sup>.

وهذا يتطلب أمره بالإحسان مطلقاً ويدخل فيه الإعانة بالمال والجاه وطلاقة الوجه وحسن اللقاء وحسن الذكر<sup>(٦)</sup>. فيكون التوجيه أن أحسن إلى عباد الله. كما أحسن الله إليك فيما أنعم الله عليك. وقيل أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن إليك بالإنعام<sup>(٧)</sup>.

(١) روح المعاني ١٠/ ٣١٨

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٣٠٠

(٣) زاد المسير ٣/ ٣٩٣

(٤) لطائف الإشارات ٣/ ٨١

(٥) جلاء خاطر ص ٢١١

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٥/ ١٥

(٧) أنوار التنزيل ٤/ ١٨٥ و مدارك التنزيل ٢/ ٦٥٧ و البحر

المديد ٤/ ٢٧٥

(٨) إحياء علوم الدين ١/ ٢٥

(٩) سورة آل عمران، الآية ٩٢

(١٠) سورة آل عمران، الآية ٩٢

(١١) سورة آل عمران، الآية ٩٢



ولا بخيل من أنفق في ذلك وإن أمسك عن نفسه<sup>(٦)</sup>.  
وأضيف الشح إلى النفس لأنه غريزة فيها<sup>(٧)</sup>.  
وقد قيل: (الجدود غاية الزهد، والزهد غاية  
الجدود)<sup>(٨)</sup>. و(الزهد يورث السخاء بالملك، والحب  
يورث السخاء بالروح)<sup>(٩)</sup>؛ لأنَّ (السخي هو الذي  
يستلذ بذل المال الذي يبذله دون الذي يبذله  
عن كراهة)<sup>(١٠)</sup>.

\* \* \*

رابع، ذلك مال رابع، وقد سمعت ما قلت، وإني  
أرى أن تجعلها في الأقربين» فقال أبو طلحة: أفعل يا  
رسول الله، فقسّمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه<sup>(١)</sup>.  
وقد قيل هنا: إنه يعني حب الإيتاء، وأن لا يكون  
متسخطاً عند الإعطاء. وأن يكون أراد على حب  
الله تعالى<sup>(٢)</sup>. وعلى كلا القولين: أن تكون الهبة  
رفيعة جيدة<sup>(٣)</sup>.

وهنا يصف الشيخ المال بأنّه نعمة وحشية  
فقيدها بالشكر والإعتراف بها للمنعّم المتفضل  
وهو الله عز وجل والتحدث بها لنفسه ورؤية فضله  
ومننه عز وجل وأن لا يملك عليه ولا يتجاوز حده  
فيه، ولا يترك أمره فيه، ثم بأداء حقوقه من الزكاة  
والكفارة والنذر والصدقة وإغاثة الملهوف، وافتقاد  
أرباب الحاجات وأهاها في الشدائد<sup>(٤)</sup>.

ويقول تعالى: ﴿يُوقَّ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ  
الْمُقَلِّحُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

أي: الشح بالزكاة وما ليس بفرض من صلة ذوي  
الأرحام والضيافة، وما شاكل ذلك. فليس بشحيح

(١) ينظر: جامع البيان ٥٨٩/٦ والحديث أخرجه البخاري  
في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب الزكاة على الأقارب ،  
١١٩/٢ رقم (١٤٦١) . ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب فضل النفقة  
والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد، والوالدين ولو كانوا  
مشركين ٦٩٣/٢ رقم (٩٩٨)  
(٢) أحكام القرآن للجصاص ١٦٠/١  
(٣) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٨٩/٨  
(٤) ينظر: فتوح الغيب ص ١٠٨  
(٥) سورة الحشر، الآية ٩

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١٨ / ٢٩  
(٧) ينظر: البحر المحيط ١٠ / ١٤٣ وفتح القدير للشوكاني  
٢٤٠/٥ والتحرير والتنوير ٢٨ / ٩٤  
(٨) أدب الدنيا والدين ص ١٨٧  
(٩) مدارج السالكين ٢ / ١٢  
(١٠) إحياء علوم الدين ٣ / ٥٨



شيء مع الإحسان إلى أشياء يعتبر غير إحسان<sup>(٤)</sup>.  
وهذا فيمن ينفق ماله في الصد عن سبيل الله؛ لأنه  
لو كان في ترك الإنفاق لم يكن في ذلك بغي ولا فساد  
في الأرض<sup>(٥)</sup>.

فيكون الزهد داعياً إلى أن يملك العبد شهوته  
فينقاد لباعث الدين... وهذا ملك به يصير صاحبه  
حراً وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبداً لفرجه وبطنه  
... فيكون مسخراً مثل البهيمة مملوكاً يستجره زمام  
الشهوة إلى حيث يريد ويهوى<sup>(٦)</sup>.

• **المطلب الثاني: الكسب والتصرف الحرام**  
يحذر الشيخ عبد القادر رحمته الله بقوله: (ويحك كيف  
تطمع في قرب الله عز وجل والحرام على جسدك  
وفي مأكولك ومشروبك ومنكوحك وجميع  
تصرفاتك)<sup>(٧)</sup>.

وينصح: بأنه لا يمتنع من الحرام إلا من هو مشفق  
على لحمه ودمه ... فليجتنب الحرام وأهله، ولا  
يجالسهم، ولا يأكل طعاماً من كسب حرام، ولا يدل  
أحدًا على حرام، فيكون شريكه، فالورع هو ملاك  
الدين وقوام العبادة واستكمال أمر الآخرة<sup>(٨)</sup>. فكان  
على المرید في بطنه ومأكوله أن لا يأكل إلا حلالاً فإن

## المبحث الرابع

### سلبية المال نحو الفساد

﴿ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ﴾

أنَّ للمال سلبية نحو الفساد ، ويبين لنا الشيخ  
عبد القادر حقيقة ذلك عن طريق :

#### • المطلب الأول: تعلق القلب بالدنيا :

يبين الشيخ أنَّ هذه السلبية نابعة من تعلق  
القلب بالدنيا وزينتها فيقول: (النفس والهوى  
يتشاركان في طلب الشهوات واللذات ولا يتورعان  
في تحصيلها)<sup>(٩)</sup>. وعليه (فمن احب المال حباً  
مفرطاً لم يؤهل لهذه المرتبة. فإن حرصه على جمع  
المال يصدده عن استعمال الرأفة وامتطاء الحق وبذل  
ما يجب ويضطره إلى الخيانة)<sup>(١٠)</sup>.

ويقول: (لا تأكلوا الدنيا بعمل الآخرة فتخسرونها.  
الآخرة سيد ، والدنيا مملوكة لها ؛ فالمملوك  
يتبع المالك . هي دنية وتلك عليه ، والدني يتبع  
العالي)<sup>(١١)</sup>.

ولهذا جاء التحذير من خلط الإحسان بالفساد  
فإن الأمر بالإحسان يقتضي النهي عن الفساد وإنما  
نص عليه؛ لأنه قد يغيب عن الذهن أن الإساءة إلى

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ٢٠/ ١٨٠

(٥) ينظر: تأويلات أهل السنة ١/ ١٩٨ و معالم التنزيل ٣/ ٥٤٤  
والكشاف ٣/ ٤٣١ ومفاتيح الغيب ٢٥/ ١٥ والجامع

لأحكام القرآن ١٣/ ٣١٥

(٦) إحياء علوم الدين ٤/ ٧٩

(٧) الغنية ١/ ٧٦-٧٧

(٨) ينظر: المصدر نفسه ١/ ٧٦-٧٧

(١) جلاء خاطر ص ٣٦

(٢) تهذيب الأخلاق ص: ٣٢

(٣) جلاء خاطر ص ٢٠٨



## المصادر

- بعد القرآن الكريم
- ١- أحكام القرآن: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠هـ) المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين: دار الكتب العلمية بيروت ط ١٩٩٤/١م
  - ٢- أدب الدنيا والدين: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ) دار مكتبة الحياة د ط تاريخ النشر: ١٩٨٦م
  - ٣- الأنساب عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت ٥٦٢هـ) المحقق: عبد الرحمن بن يحيى: دائرة المعارف ط ١٩٦٢م
  - ٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام ناصر الدين البيضاوي: دار الفكر - بيروت
  - ٥- إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ) الناشر: دار المعرفة - بيروت
  - ٦- البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت ٢٠٠١ ط ١
  - ٧- البحر المديد: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس دار النشر / دار الكتب العلمية - بيروت ط ٢٠٠٢ / ٢ م -
  - ٨- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر

العبادة مع أكل الحرام كالبناء على أمواج البحار فلا تتم عبادة مع الكسب الحرام وأكله وإطعامه<sup>(١)</sup>.  
ويقول الشيخ رحمته الله: ( تورع في تصرفك في الدنيا وإلا انقلبت شهواتك حشرات في الدنيا والآخرة)<sup>(٢)</sup>. وهذا هو مقصد رحمته الله وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ رحمته الله أي: بالظلم والبغي وإنفاق المال في المعاصي إن الله لا يحب المفسدين لا يرضى فعلهم<sup>(٣)</sup>. فلا تكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به في الأرض، وتسيء إلى خلق الله<sup>(٤)</sup>.  
ويوصي السالك بقوله: (ما دمت مبتدئاً معتدلاً طالباً سالكاً فحب الدنيا في حقل رأس كل خطيئة فإذا انتهى سر قلبك ووصل إلى قرب الحق عز وجل حب إليك قسمك من الدنيا وبغض إليك قسم غيرك يحب إليك أقسامك حتى تستوفيها تحقيقاً لعلمه السابق فيك فتقنع بها ولا تلتفت إلى غيرها)<sup>(٥)</sup>. وهذا توجيه نحو الرضا بما قسم الله والشعور بعمق النعمة الإلهية مما يحجم النفس عن التجاوز على الغير والتطلع إلى الآخرين ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال. ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: إحياء علوم الدين ٢ / ٣٥، ٨٩

(٢) الفتح الرباني ص ١٩٦

(٣) البحر المديد ٤ / ٢٧٥ وأنوار التنزيل ٤ / ١٨٥

(٤) تفسير القرآن العظيم ٦ / ٢٢٨

(٥) الفتح الرباني ص ١٧٧

(٦) ينظر: مدارج السالكين ٢ / ١٦



- ١٧- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١ هـ) دار عالم الكتب، الرياض: ٢٠٠٣ م
- ١٨- جلاء خاطر المؤلف: عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي (ت ٥٦١ هـ)
- ١٩- ذيل طبقات الحنابلة زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلمي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ) الرياض ط ٢٠٠٥ م
- ٢٠- الرسالة القشيرية عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت ٤٦٥ هـ) تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحلیم محمود، الدكتور محمود بن الشريف دار المعارف، القاهرة
- ٢١- رسالة المسترشدين: الحارث بن أسد المحاسبي، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - سوريا ط ١٩٧١ م
- ٢٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود الألوسي أبو الفضل دار إحياء التراث العربي - بيروت
- ٢٣- روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧ هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت
- ٢٤- زاد المسير في علم التفسير عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي: المكتب الإسلامي - بيروت ط ١٤٠٤، ٣
- بن كثير ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) المحقق: علي شيري الناشر: دار إحياء التراث العربي ط ١٩٨٨ م
- ٩- تأويلات أهل السنة: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣ هـ) المحقق: د. مجدي باسلوم: دار الكتب العلمية - بيروت ط ٢٠٠٥ م
- ١٠- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور: دار سحنون تونس - ١٩٩٧ م
- ١١- تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت: ١٣٥٣ هـ): دار الكتب العلمية - بيروت
- ١٢- التسهيل في علوم التنزيل: أبو القاسم، محمد بن أحمد ابن جزى الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١ هـ) ط ١٤١٦ هـ
- ١٣- تفسير القرآن العظيم أبو الفداء اسماعيل بن كثير ت ٧٧٤ هـ سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر ط ١٩٩٩ م
- ١٤- تلبیس إبليس جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ط ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م
- ١٥- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت ٤٢١ هـ) حققه: ابن الخطيب الناشر: مكتبة الثقافة الدينية الطبعة: الأولى
- ١٦- جامع البيان في تفسير القرآن: محمد بن جرير بن أبو جعفر الطبري، [٢٢٤ - ٣١٠ هـ] المحقق: أحمد محمد شا: مؤسسة الرسالة ط ١، ٢٠٠٠ م



- ٢٥- سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ): شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ط ٢ - ١٩٧٥ م
- ٢٦- سير أعلام النبلاء شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ): مؤسسة الرسالة ط ٣ ١٩٨٥ م
- ٢٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت ١٠٨٩هـ): دار ابن كثير، بيروت ط ١٩٨٦ م
- ٢٨- صحيح البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري دار طوق النجاة ط ١٤٢٢هـ
- ٢٩- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت
- ٣٠- عمدة القاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الحنفي بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت
- ٣١- الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١هـ) المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة دار الكتب العلمية، بيروت ط ١٩٩٧ م
- ٣٢- الفتح الرباني المؤلف: عبد القادر الجيلاني (المتوفى: ٥٦١هـ)
- ٣٣- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني: دار الفكر - بيروت
- ٣٤- فتوح الغيب المؤلف: عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسن، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، (المتوفى: ٥٦١هـ)
- ٣٥- فوات الوفيات محمد بن شاعر (ت ٧٦٤هـ) دار صادر - بيروت ط ١٩٧٣
- ٣٦- في ظلال القرآن سيد قطب دار الشروق ط ٣٤ - ٢٠٠٤
- ٣٧- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: عبد الرزاق المهدي
- ٣٨- لطائف الإشارات عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت ٤٦٥هـ) مصر ط ٣
- ٣٩- مجمع الزوائد أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيتمي (ت ٨٠٧هـ) مكتبة القدسي، القاهرة عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م
- ٤٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي: دار الكتب العلمية - لبنان ١٩٩٣ م ط ١
- ٤١- مدارج السالكين: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي دار الكتاب العربي - بيروت ط ١٩٩٦ م
- ٤٢- مدارك التنزيل وحقائق التأويل أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي دار النشر: دار النفائس - بيروت تحقيق الشيخ: مروان محمد الشعار





- ٤٣- معالم التنزيل: أبو محمد الحسين بن مسعود: دار طيبة ط ٤ ١٩٩٧ م
- ٤٤- معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ) عالم الكتب - بيروت ط ١٩٨٨ م
- ٤٥- مفاتيح الغيب . المؤلف: الإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ ط ١
- ٤٦- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ) بيروت ط ١٩٠١

\* \* \*